

تفسير البحر المحيط

@ 256 من حَدِيثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِّنَ اللَّحْمِ
مِنْ شَدِّهِ { . فالضمير في { دَلَّهِمْ } عائد على الجن الذين كانوا يعملون له ، وكان
سليمان قد أمر الجن ببناء صرح له ، فبنوه له . ودخله مختلياً ليصفو له يوم من الدهر من
الكدر ، فدخل عليه شاب فقال له : كيف دخلت عليّ بغير إذن ؟ فقال : إنما دخلت بإذن ،
قال : ومن إذن لك ؟ قال : رب هذا الصرح . فعلم أنه ملك الموت أتى بقبض روحه ، فقال :
سبحان الله ، هذا اليوم الذي طلبت فيه الصفا ، فقال له : طلبت ما لم يخلق ، فاستوثق من
الالتكاء على العصا ، فقبض روحه ، وبقيت الجن تعمل على عاداتها . وكان سليمان قصد تعمية
موته ، لأنه كان بقي من تمام بناء المسجد عمل سنة ، فسأل الله تمامها على يد الإنس والجن ،
وكان يخلو بنفسه الشهرين والثلاثة ، فكانوا يقولون : إنه يتحنث . وقيل : إن ملك الموت
أعلمه أنه بقي من حياته ساعة ، فدعا الشياطين فبنوا له الصرح ، وقام يصلي متكئاً على
عصاه ، فقبض روحه وهو متكئ عليها . وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه ، فلا ينظر أحد
منهم إليه في صلاته إلا احترق ، فمر واحد منهم فلم يسمع صوته ، ثم رجع فلم يسمع ، فنظر
فإذا هو قد خر ميتاً ، وكأن عمره ثلاثاً وخمسين سنة . ملك بعد موت أبيه وهو ابن ثلاث
عشرة سنة ، وكان أبوه قد أسس بنيان المسجد موضع بساط موسى ، فمات قبل أن يتمه ، ووصى
به ابنه ، فأمر الشياطين بإتمامه ، ومات قبل تمامه . .
و { دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ } : هي سوسة الخشب ، وهي الأرضة . وقيل : ليست سوسة
الخشب ، لأن السوسة ليست من دواب الأرض ، بل هذه حيوان من الأرض شأنه أن يأكل الخشب ،
وذلك موجود . وقالت فرقة ، منها أبو حاتم : الأرض هنا مصدر أرضت الأبواب ، والخشب أكلتها
الأرضه فكأنه قال : دابة الأكل الذي هو بتلك الصورة . وإذا كان الأرض مصدراً ، كان فعله
أرضت الدابة الخشب تأرضه أرضاً فأرض بكسر الراء نحو : جدعت أنفه فجدع . ويقال : إنه
مصدر لفعل مفتوح العين ، قراءة ابن عباس . والعباس بن الفضل : الأرض بفتح الراء ، لأن
مصدر فعل المطاوع لفعل يكون على فعل نحو : جدع أنفه جدعاً وأكلت الأسنان أكلاً ، مطاوع
أكلت . وقيل : الأرض بفتح الراء جمع أرضه ، وهو من إضافة العام إلى الخاص ، لأن الدابة
أعم من الأرض . وقراءة الجمهور : بسكون الراء ، فالمتبادر أنها الأرض المعروفة ، وتقدم
أنها مصدر لأرضت الدابة الخشب . وتأكل : حال ، أي أكلت منسأته ، وهي حال مصاحبة . وتقدم
أن المنسأة هي العصا ، وكانت فيما روي من خرنوب ، وذلك أنه كان يتعبد في بيت المقدس ،
فتنبت له في محرابه كل سنة شجرة تخبره بمنافعها فيأمر فتقلع ، ويتصرف في منافعها ،

وتغرس لتتناسل . فلما قرب موته ، نبتت شجرة وسألها فقالت : أنا الخرنوب ، خرجت لخراب ملكك ، فعرف أنه حضر أجله ، فاستعد واتخذ منها عصاً واستدعى بزاد سنة ، والجن تتوهم أنه يتغذى بالليل . وروي أن سليمان كان في قبة ، وأوصى بعض أهله بكتمان موته عن الإنس والجن سنة ليتم البناء الذي بدء في زمن داود ، فلما مضى لموته سنة ، خر عن العصا ونظر إلى مقدار ما تأكله الأرضة يوماً وقيس عليه ، فعلم أنها أكلت العصا منه سنة . وقرأ نافع ، وأبو عمرو ، وجماعة : منسأته بألف ، وأصله منسأته ، أبدلت الهمزة ألفاً بدلاً غير قياسي . وقال أبو عمر : وأنا لا أهمزها لأنني لا أعرف لها اشتقاقاً ، فإن كانت مما لا تهمز ، فقد احتطت ، وإن كانت تهمز ، فقد يجوز لي ترك الهمزة فيما يهمز . وقرأ ابن ذكوان وجماعة ، منهم بكار والوليدان بن عتبة وابن مسلم : منسأته ، بهمزة ساكنة ، وهو من تسكين التحريك تخفيفاً ، وليس بقياس . وضعف النحاة هذه القراءة ، لأنه يلزم فيها أن يكون ما قبل التأنيث ساكناً غير الفاء . وقيل : قياسها التخفيف بين بين ، والراوي لم يضبط ، وأنشد هارون بن موسى الأخفش الدمشقي شاهداً على سكون هذه القراءة قول الراجز :